مضامين الأمثال

تعريف المثل لغة:

الأمثال جمع مثل و هو مأخوذ من قولنا ذلك مثل الشيء ومِثله، مثلما تقول شَبهه، وشِبهه، لأن الأصل فيه التشبيه. وللعرب أمثال جيدة خلفوها لنا تدل على عقليتهم، وأكثر الأمر الذي يدل عليها الشعر والقصص، ولعل داع هذا يرجع حتّى المثل يوافق مزاجهم العقلي و هو البصر الجزئي الموضعي لا الكلي الشامل. والمثل لا يستدعي إحاطة بالعلم أو شؤون الحياة.

اصطلاحا:

الأمثال هي العبارة الفنية السائرة الموجزة التي تصاغ لتصوير موقف أو حادث و لتستخلص خبرة إنسانية يمكن استعادتها في حلة أخرى مماثلة لها ."

وتعريف آخر للأمثال و هي جملة قيلت في مناسبة خاصة، ثم صارت– لما فيها من حكمة– تذكر في المناسبات المماثلة.

ولكي تصير الجملة مثلاً فلابد من اشتمالها على الإيجاز وحسن التشبيه و إصابة المعنى و حسن الكناية .

أهمية الأمثال ومضامينها:

المثل من أكثر الأنواع التعبيرية الشعبية انتشارا وشيوعا، ولا تخلو منها أية ثقافة، إذ نجدها تعكس مشاعر الأمم على اختلاف طبقاتها وانتماءاتها، وتجسد أفكارها وتصوراتها وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها وأكثرية أشكال حياتها، في صورة حية وفي إشارة إنسانية شاملة، فهي بهذا عصارة حكمة الأمم وذاكرتها. وتتسم الأمثال بسرعة انتشارها وتداولها من جيل إلى جيل، وانتقالها من لغة إلى أخرى عبر الأزمنة والأمكنة، كما تتسم بإيجاز نصها وجمال لفظها وغزارة معانيها.

وقد حظيت الأمثال بعناية كبيرة، عند الغرب والعرب بنفس الدرجة، ولعل عناية الأدباء العرب بذلك الشكل التعبيري كان لها طابع متميز، نظرا للأهمية التي يكتسيها المثل في الثقافة العربية، فنجد ابن الأثير يومئ إلى أهميتها وهو يحيط المتصدي لدراسة الأمثال علما أن "الحاجة إليها شديدة، وهذا يبين أن العرب لم تصغ الأمثال سوى لأسباب أوجبتها وحوادث اقتضتها، فصار المثل المضروب لأمر من الموضوعات عندهم كالعلامة التي يعلم بها الشيء".

والأمثال العربية هي حكمة الأمم و مرآتهم التي تعكس أحاسيسهم على غير مشابه مستوياتهم وهي المتنفس الأوحد لمشاكلهم والمعبر عن همومهم. مثلما هي باعتبار مقاييس أخلاقية يضعها عقلاء الناس لتصبح ضابطاً سلوكيا ومنهجا أخلاقيا لعامته وخاصته يتناقلها الخلف عن السلف جيلا عقب جيل فتظل محفورة في ذاكرة الشعب، تعبر عن كفاح أولاده عبر أعوام حياتهم سرائها وضرائها، نعيمها وبؤسها، يسرها وعسرها، خيرها وشرها، مثلما هي أصدق شيء يتحدث عن أخلاق الأمة وتفكيرها وعقليتها وعاداتها، ويصور المجتمع وحياته وشعوره أتم تصوير فهي صورة للحياة الاجتماعية والعقلية والسياسية والدينية واللغوية، وهي أقوى إشارة من الشعر في هذا لأنه لغة طائفة مميزة.

نماذج من الأمثال العربية القديمة:

- على أهلها جنت براقش:

ويحكي هذا المثل قصة لكلبة تُدعى براقش كانت لقوم من العرب، واختبأت هذه الكلبة مع أصحابها عن الغزاة، فعادوا ولم يعثروا عليهم، ولكن نبحت براقش فجعلتهم يستدلون على مكانهم واستباحوهم.

- أَحَشَفًا وسوء كِيلَة:

وتعود قصة هذا المثل إلى أن ذهب أعرابياً ليشتري التمر، فوجده سيء ولاحظ غش البائع في الميزان، فقال له هذا المثل ليعبر عن أمرين مكروهين مع بعضهما.

- أوسعتُهُم سبًّا وأودوا بالإبل:

وجاء هذا المثل عندما هجمت اللصوص على رجل وأخذوا إبله، ولم يستطع الدفاع عن إبله، وعندما ابتعدوا أخذ يسبهم بأقبح الألفاظ، ولما عاد لقومه وسألوه عما فعل وأين إبله، قال هذا المثل، فصار يُطلق على من لا يفعل شيئًا ويتكلم فقط.

- اختلط الحابل بالنابل:

ويُضرب هذا المثل تعبيرا عن اختلاط الجيد بالسيئ وعدم التفرقة بينهم، وتعود قصة هذا المثل لاختلاط فعل الحابل الذي يرمي الرمح بفعل النابل الذي يرمي السهم. فلا يعرف من أصاب ومن أخطأ.

- جوِع كلبك يتبعك:

وتعود قصة المثل إلى ملك حِمْيَر، وكان رجلاً ظالمًا يسلب أرزاق الناس ويجوّعهم، ولم ينفع معه النصح، فجاءته زوجته متعاطفة مع حال الناس، فقالت له: (إني لأرحم هؤلاء لما يلقون من الجَهد ونحن في العيش الرغد، وإني أخاف أن يكونوا عليك أشياعًا وقد كانوا أتباعًا، فأجابها الملك: جوِع كلبك يتبعك. ويضرب هذا المثل في من يضيّق على الناس حتى يكونوا في حاجته طمعا في عطائه.

- لا ناقة لي فيها ولا جمل:

وتعود قصة المثل إلى الحارث بن عباد، الذي رفض أن يشارك في حرب البسوس التي كانت بين تغلب وربيعة، بسبب قتل كليب لناقة البسوس، فأراد جساس هو الآخر أن يقتل جمل كليب، ولكنه قتل كليبا ذاته، فقامت الحرب بينهم، ولما دعي ابن عباد إلى الحرب، رأى أنها حرب غير محقة لهم، فرفض النزول في الحرب وقال لا ناقتي فيها ولا جملي، فأصبح مثلاً يدل على البراءة من الأمر.

- قَطَعت جهِيزة قَول كل خطِيب:

ويعود أصل هذا المثل إلى عراك حدث بين قبيلتين أدى لمقتل رجل من إحدى القبيلتين، فسعى كبار القبائل المجاورة للصلح بينهما ودفع دية القتيل قبل أن تنشب نار الحرب بين القبيلتين، ، فدخلت جارية تسمى "جهيزة" قاطعة لحديثهم وأخبرتهم أن أهل القتيل أخذوا بثأر قتيلهم، فقال كبيرهم: قطعت جهيزة قول كل خطيب.

- ما يومُ حليمةَ بِسِرٍّ:

ويعود أصل هذا المثل إلى أن حليمة ابنة الحارث الغسّاني قامت باستقبال جند أبيها بعد عودته منتصرًا على المناذرة، فضمتهم وذاع خبر انتصارهم وما فعلته حليمة يوم النصر، فأصبح المثل يُعبر عن انتشار الأمر.

- إذا عز أخوك فهن:

هذا المثل جاءت قصته عن هذيل بن هبيرة التغلبي عندما خرج مع أصحابه ليقاتل بني ضبة فانتصروا عليهم، وأثناء عودتهم طلب منه أصحابه أن يقتسموا الغنيمة ولكنه خاف من هجوم أعدائهم مرة أخرى عليهم وهم يقتسمون، فطلب منهم الانتظار حتى يعودوا إلى ديارهم ولكنهم أصروا، فنفذ ما أرادوه وقال هذا المثل.